تاريخ الحضارة الاغريقية

تالفت بلاد الاغريق القديمة من مجموعة من المدن الصغيرة التي انشاها ملاك العبيد والتي بدورها شملت شبه جزيرة البلقان ،وجزر بحر ايجة ، وسواحل فراكيا والشريط الساحلي الغربي لاسيا الصغرى (١،ص١١).

اما في فترة الاستعمار الاغريقي وتحديدا في القرن الثامن وحتى القرن السادس ق.م وعلى المنطقة الجنوبية لايطاليا، وعلى المنطقة الشرقية لصقلية ، وجنوب فرنسا ، وعلى الساحل الشمالي لافريقيا، وفي القرن الثاني والاول ق.م فقدت هذه المدن استقلالها السياسي فدخلت ضمن ممتلكات الامبرطورية الرومانية.

اذن من هذا نعلم ان بلاد الاغريق كانت عبارة عن عدد من المدن الصغيرة في بداية الامر لكن فيما بعد الاستعمار نلاحظ انها دخلت ضمن نطاق ذلك الاستعمار، مما ولد عن ذلك فقدانها للاستقالها وبالاخص السياسي منها واصبحت جزءا لا يتجزاء عن الامبراطورية الرومانية ،وبهذا كان له الاثر الواضح على روما في جميع مرافق الحياة وخاصة في مجال الادب والفكر.

كانت بلاد الاغريق عبارة عن شعوب غير كاملة الترحال متغلغلين في شبه جزيرة البلقان ، ويقاتلون شعوب تلك المدن اللايجية السابقة متحدثة بلسان واحد مشترك لها تقاليد واحدة مشتركة وتسمى ايضا باسم واحد مشترك هو (الهلينيون)* (١ ،ص١٢).

ويذكر (جورج تومسن) في كتابه (اسخيلوس واثينا) بلاد الاغريق ويؤكد ان الحاجة كانت ماسة لوضع قائدا للقبائل في فترة الحرب وخاصة في تلك المرحلة كانت الحروب في تصعيد تام ،من هنا نجد ان نظام اليونان كان نظاما فيدرالي خاضع لملكية اعلى لكن بقي هذا النظام معرض لتهديد من قبل (الدوريانين)** ، لذا فانهار بسرعة (٣،ص٩٠).

وعلى هذا الاساس قد نصل الى استفسار ما ، هل كان للزراعة الدور الفعال في مرحلة الابداع التي شهدتها البلاد ام لا؟

---

* الهيلينون: حضارة خرجت الى الوجود في اواخر العصر (الالف الثاني)ق.م وقد احتفظت بشخصيتها الى (القرن السابع) من العصر المسيحي . ويعد البحر الايجي اول ظهور لها ثم اتسع نطاقها الى الشرق ممتدة غربا الى افريقيا واوربا المطلة على المحيط الاطلنطي، ولفظة (الهلينية) ليست من المفردات الشائعة الاستعمال في اللغة الانكليزية للمزيد ينظر :(١٦،ص١٩).

** الدوريانيون:هم الغزاة الدوريانيون ، كان تنظيمهم القبلي لايزال سليما وبصورة عامة وكانت الجمعية المؤلفة من عدد من الرجال البالغين وما زالت قدرتهم على تاكيد السلطة ،استمد الدوريانيون من اسبارطة صفة مميزة من النظام القبلي، للمزيد ينظر:(٣ ، ص٩٤).

يبدو ان بلاد الاغريق كانت عرضة للحروب الخارجية على الرغم من ان حكمها كان فيدرالي مما ادى الى سقوط نظامها ، كما ان تاريخ الاغارقة قد مرضمن مرحلتين اساسيتين الاولى مرحلة الاستقرار للقبائل والثانية مرحلة التطور والابداع في ميدان الثقافة والاقتصاد والسياسة. من هنا برزت الاعمال الحرفية اكثر فاكثر من اعمال الزراعة والتي تعد من اهم التطورات التي حدثت في تلك الفترة، مما ادى الى ازدهار المدن وتعاظم الحياة فيها خصوصا داخل المراكز التجارية وهذا بدوره ادى الى انتشار ادوات الانتاج المصنوعة من الحديد والى تحسين الانتاج بصوره عامة والى حدوث تغيرات اساسية في تنظيم عملية الانتاج نفسها (١،ص١٢).

من هنا يطرح سؤال نفسه هل كان للبيئة دورا بارزا في الحياة الاغريقية ؟هل كان للحروب التي شهدتها الاغريق الدور الفعال في تاريخها ومن ثم في مرحلة التطور والابداع التي مرت بها، في أي مجال من مجالات الحياة ظهر التطور وكان السباق في ذلك، هل كان للعوامل السياسية قسطا واضحا من تلك التطورات؟

مما لاشك فيه ان الصراع ما بين البيئة والانسان دفعت به الى العمل والنشاط وقد اتضح ذلك في البيئة الاغريقية ، فالبحر يتغلغل في كل مكان فالمدن الاغريقية هي تقريبا بجوار البحر او ساحله مما فسح المجال امامهم وفتح افاق رحبة في الترحال والتجارة فحسب بل ايضا مكنهم من عملية الاتصال بباقي الحضارات القديمة الاخرى مثل حضارة بابل ،واشور، ومصر فموقعها الاستراتيجي مكنها من الوقوف قريبة من هذه الحضارات، فكان للبحر اهمية كبيرة فقد ساعدهم على الهجرة وبالتالي ادى الى نشاط التجارة وانتشار الحرفيين ومن ثم ازدهار الاقتصاد المالي. ولقد اكد (الحكيم) ذلك، حيث قال " لقد طالبت الفئات الجديدة من الحرفيين والتجار بحصة وافرة من الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية فضلا عن ذلك مطالبة الفلاحين والصناع بتحسين ظروف المعيشة".

اذن يمكن القول ان للنظام (زولون)* كان له الاثر البالغ في التطور الحضاري الذي شهدته حضارة الاغريق ؟

وفي ظل هذه الظروف نشبت اشتباكات مابين الفئات مما ادى الى قيام (زولون) نظام الطبقات الاربع اسوة بانظمة المدن الاغريقية الاخرى(٤، ص١٢٨)، ونتيجة لحدة الصراع فيما بينها مما ادى الى قيام هذا النظام والذي بدوره شجع على التطور الاقتصادي وازدهار الزراعة والحر ف المهنية والتجارة اذ نشط فن العمارة وظهور بوادر النشاط الفني والادبي .

---

* نظام زولون:تاجر من عائلة نبيلة قام بدورمهم في اخماد حدة التوترات الاجتماعية من خلال الغاء العبودية الدينية والاقطاعية واقامة دستور يمنح فيه الطبقات المتنازعة كامل الحقوق، للمزيد ينظر:(٤،ص١٢٧).

وفي عام (٥٠٠) ق.م كانت للديمقراطية الاثنية اثر في وضع حد لهيمنة الفئات الارستقراطية وبالتالي اجراء تغيرات جوهرية في البنية السياسية "فحل مجلس الشعب القديم المتكون من اربع قبائل وتكون بدلا منه مجلس جديد انضم اليه عشر قبائل ،فكانت الطبقتان الاوليتان من الاربع الطبقات في نظام (زولون) محتفظة بالمناصب العليا في سلطة الحكم، اما الاخرى فقد ساهمت في تكوين بعض مرافق الدولة ومنها محكمة المحلفين (٤،ص١٢٨).

وقد اعتمد (التكريتي) ذلك اذ يرى ان الاغريق مرت بمرحلة مهمة في حياتها وقد تعد نقطة تحول في انتصارها على الفرس وبهذا اصبحت اثنيا في مقدمة الدول الاغريقية مما اظهر تطور ملموس في التجارة والصناعة والفن والادب والذي مكن من قيام التقدم الحضاري والتقني الواسع ومن ثم ساعد الانتقال من البربرية الى المدينة (١،ص١٣).

في حين يرى (الحكيم) الصورة نفسها تقريبا ويقول "اخذ التنافس مابين اثنيا في مقدمة الدول الاغريقية واسبرطة اكبر دولة اغريقية انذاك فاحتد الصراع مابين الاثنيين والاسبرطيين حول النظام القائم في اثنيا وراى الاسبرطيون ان الديمقراطية الاثنية خطر عليهم وفجر هذا الصراع الخارجي الصراع الداخلي في اثنيا وبدات الفئات الارستقراطية المنتمية الى الطبقتين العلويتن بالدعوة الى الاتحاد مع اسبرطة وتصفية النظام الديمقراطي المحلي" (٤،ص١٢٩).

وقد جاء رأي الاستاذ (طه باقر) معززا ومؤيدا للرأيين السابقين اذ يقول، فالتغير الذي حدث في جوهر النظام السياسي كان له الاثر الواضح في تقدم الاغريق نحو عجلة التقدم والازدهار، وجاء هذا التغير معززا الطبقة الاقطاعية على السلطة، فقد ظلت اثنيا ترزح تحت هذه النظم السياسية لفترة من الزمن فشهدت صراعها مع الفرس والذي لعبت فيه دوا بارزا ومهما مبرهنة على ان هذا الشعب الصغير استطاع ان ينتصر على اعظم امبراطورية عرفها التاريخ مما ساعد على ارتفاع مشاعر العزة والكرامة وهذا بدوره دفع الفكر الدرامي الى الامام فضلا عن النظام الديمقراطي الاثيني فكان له دور رائد وبداية لازدهار الثقافة والفكر(٧، ص٥٤٠-٥٤٤).

من هنا نجد ظهور عددا من الاراء المناصرة لتقدم الاغريق ووضع قدمها على اول خطوة في طريق التقدم والازدهار فجاء انتصارها على اكبر امبراطورية في العالم القديم والحديث ، مما مهد الطريق لتكون ينبوعا ورافدا لاينضب في كافة الميادين والاصعدة.

وفي مجال السياسة الخارجية استطاعت اثنيا من جمع المدن الاغريقية وذلك بالتحالف الايتكي* وبهذا اصبحت اثنيا مركز الصندوق المالي للمدن باجمعها ففي عام (٤٥٤)ق.م استطاعت ان تفرض سيطرتها على السيولة المالية والتي بدورها تدر بالفائدة على الاثنيين قبل

---

* التحالف الاتيكي :ويقصد به تحالف المدن اليونانية ضد الغزاة الاجانب كالفرس وغيرهم، للمزيد راجع: (٤،ص١٣٠).

غيرهم وبهذا اصبحت اثنيا دولة ذات تخطيط ودراية سياسية واقتصادية بما يسمح لها ان تكون دولة غنية (٤،ص١٣١).

وعليه يمكن التوصل هنا الى ان هناك عدد من العوامل ساهمت وبشكل مباشر في تطور اثينا وان تكون في مقدمة الدويلات الغنية ومن هذه العوامل التحالف الاتيكي وايضا هناك عوامل سياسية واقتصادية .

وفي عام(٤٦١) ق.م شاركت الفئات الفقيرة والمتوسطة في تسيير الامور السباسية والاجتماعية والثقافية واعطيت رواتب لا عضاء مجلس الشعب ومحكمة المحلفين فانتعش النشاط الثقافي والفني مخصصة بذلك مبالغ للعروض المسرحية ، فاحتل الفنانون والادباء مستوى فني عالي وراق في المجتمع الاثني مكونين بذلك الطبقة الثالثة في المشاركة لانتخابات المناصب القيادية في السلطة (٤،ص١٢٩).

وبما ان النشاط الادبي قد ظهر اكثر فاكثر مما عكس ذلك على حياة الانسان الاغريقي وما كان للطبيعة من دور هام وقد نجد انفسنا امام راى لابد من الوقوف عنده ، هل لعبت الطبيعة دور اساسا ومهم في حضارتهم ، وهل كان الموقع الاستراتيجي الذي تمتعت به الاغريق عاملا مساعدا على اتصالها بالشرق وحضاراته مما فسح المجال امامها لتبلغ مرحلة مهمة من حياتها في جانب التقدم والازدهار ام لا؟

اخذ الانسان الاغريقي يحيا بالطبيعة الجميلة ويعيش معها فهو الذي يتمتع بهذه المناظر الساحرة البديعة وتنوعها بل ان سمعه لاصوات البلابل وهديل الحمائم وخصوبة الخيال الذي تميز به ونضج العقل ومتانة الفكر ورصانة الراي، كل هذا ساهم في بناء ادب ذا خلود وفكر رائع ليس له الامنبع واحد وهو التراث الاغريقي (٥، ص٣).

من هنا نجد شغف الاغريق بالطبيعة وتمتعهم بها فقد كانوا يستغرقون ساعات طويلة دون الشعور بملل وهذا ما نلحظه من الروايات الغريبة المتداولة عن (سقراط)** فقد ذكرت عدد من المصادر ان (سقراط) ظل واقفا لساعات طويلة يتامل مشرق الشمس وغروبها الى اليوم الثاني دون ان يتكلم او يتناول الطعام او يستريح وهذا وان دل فانه يدل على جمال المشهد وعمق النظرة، الى جانب ذلك كان للاساطير الرائعة دور بارز وما انتجته اذ تحمل في طياتها المغزى الفلسفي العميق وبما ان للطبيعة الاثر البالغ في حياة الاغريقي وجبالها وسهولها وانهارها منمية بذلك الاحساس المرهف والخيال وما للالوان الزاهية، واخضرار الارض ، وزرقة السماء، الالوحة فنية رائعة الجمال متكونة من تلك المناظر والالوان، كل هذا الا يخلق في نفس الاغريقي منظر ساحر اخاذ ؟ وهذا الارتباط مابين البيئة والفكر الدرامي كان له الاثر البالغ على فكر

** للمزيد ينظر:(٦،ص٧).

الكاتب المسرحي عموما ويمكن القول ان جميع الكتاب المسرحيين قد تاثروا وبشكل مباشر بالطبيعة وقد اتضح ذلك في اغلب اعمالهم مما اكسابهم نظرة متنوعة للامور وتضاد مدهش في التفكير وثقافة خصبة فكانت بمثابة كنوز ادبية يغترف منها ادباء العصور المقبلة ويتخذونه نموذج ونور متالق افاضت على الانسانية منحى من انوار العلم والمعرفة، هذه الميزة التي ميزت بها السماء، وهذا الشعب ،وهذه الموهبة الفذه التي تلالا في تاريخ الانسانية والذي سماه المفكرون فيما بعد بالمعجزة الاغريقية، وهذا ما املته البيئة ان تخلق ادب متميز وفكر فلسفي فريد مبتدئيا (بافلاطون) ومنتهيا بعدد من الفلاسفة الذين جاءوا بعده، هذا الفكر وهذا الادب الذي ظل المعين الذي لا ينضب عبر عصور التاريخ.

اما بخصوص العلاقات الاجتماعية فقد بقيت متسمة بالتفاوت الكبير مابين الاغنياء والفقراء ،وقد اشار (ارسطو) الى ذلك في كتابه (السياسة) ان هذا التفاوت قد مكن عن عزل الطبقات العامة، فالفلاح يكسب لقمة عيشه اما الاغنياء فهم القادرين على تكريس حياتهم لخدمة مدينتهم (١،ص١٥).

وفي هذا الجانب بالذات توصلت الباحثة الى مجموعة من الاستفهامات والتي بدورها لابد من الاجابة عليها، هل كان من الضروري ان يكون هناك شخص مسؤول عن القبائل الاغريقية على حد تعبير الكاتب (تومسن)، اين الاهمية في ذلك ولماذا؟ لقد مرت اثينا في حياتها بمرحلتين اساسيتين، اذن هل كان هناك دور بارز لهاتين المرحلتين في وضع اثينا على طريق التطور والابداع ام لا؟ اذكر الدور الذي لعبته البيئة في حياة الفرد الاغريقي. هل حقق نظام الطبقات الاربع ،مزيدا من التقدم ام عاد باثينا الى مرحلة سابقة تسودها الضعف والانحلال ؟ ما هي التغيرات التي شهدتها اثينا اذكرها، وهل قامت بدور متميز ومنفرد في الحياة العامة للبلاد ام لا؟ بلغت اثينا مرحلة من مراحل التطورات السياسية والاجتماعية ،وعليه هل ظهر اثر ذلك في انتعاش الجانب الفني والثقافي للبلاد، وضح ذلك، هل كان للديمقراطية الدور الفعال في ازدهار الفن والفنانين ولماذا؟ ما هي النقطة التي مرت بها اثينا بحيث جعلتها تصطف في مقدمة الامم والشعوب ؟ شهدت اثينا تحالف اتيكي ، ،هل لعب هذا التحالف دورا مهما في حياة الاثنيين ولماذا؟ ظهور عدد من طبقات المجتمع الاثيني، والسؤال يتركز ، هل من المعقول ان الطبقة الثرية الوحيدة القادرة على خدمة مدينتهم الفاضلة اما الطبقات الباقية ليس لها أية اهمية تذكر في هذا المجال حسب ما اشار (ارسطو) ؟ هل كان للبيئة الاثر الواضح على فكر الفنان وبالتالي على كتابة المسرحيات لاحقا ؟ مرت اثينا بمرحلة من الرفاه الاقتصادي، كيف وظف ذلك ، وهل كان فيه صلاح الاثنيين ام فسادهم ؟ لذا فانعكست الرفاهية على القدرات والقابليات الطبقة المتوسطة وكذلك الطبقة الغنية فقد استفادت من هذا الظرف الاقتصادي السياسي وفي تطور القدرات الذهنية والجمالية لعدد كبير من السكان وبهذا تكونت مفاهيم عديدة منها المساواة

لكن على الرغم من ذلك فقد بقيت الطبقة الفقيرة محرومة من هذا الانتعاش الاقتصادي لذا بقي الصراع قائما كلا حسب مصالحه (١،ص١٨).

وفي ظل مجتمع اتسم بالمدنية الرفيعة التهذيب وتقديم عدد من الافكار والاتجاهات فضلا عن طرح المفاهيم الفلسفية في تفسير الديمقراطية والواجبات ،كل هذا ساهم في جعل الشخص العامل هو الوحيد القادر على بناء المجتمع والذي لايعمل لايعد عنصرا فعالا فيه.

اما بخصوص المجال الثقافي فكانت الطبقة الغنية متفرغة تماما للنشاط العلمي والفني فهي لاتدير امورها الحياتية بنفسها وانما من خلال العبيد لذا فهي مؤهلة للتفرغ والتطوير المنسق للقابليات الروحية والاخلاقية والتعليمية ممارسة بذلك كافة الانشطة.

اما الطبقتان المتوسطة والدنيا فهما تعملان من اجل الحصول على لقمة العيش والمساهمة في بعض النشاطات كمجالس الشعب والمحاكم مع الاشتراك في الاعياد الدينية اما الفقراء المعدمون فتقوم الدولة باعانتهم لكي تمكنهم من العيش (١،ص١٨).

في هذه الفقرة وقبل الانتقال الى موضوع اخر نستدرك قليلا هذه النقطة ، هل يمكن القول ان الثقافة والعلم مقتصر فقط على الطبقة العليا ولا يتعدى الطبقاتان الاخريتان ؟

يبدو ان هذا الهرم الاجتماعي للمدينة الديمقراطية في القرن الخامس ق.م يكشف طبيعة امتيازات الطبقات الثلاثة مع وطبيعة نمط الشخصية فهي العليا والتي تستغل اوقات الفراغ بالعمل الروحي مع ادراك واستيعاب للقضايا الجمالية ،وهناك المتوسطة ممثلين بالفلاحين وبعض الصناع وصغار التجار مع امكانية مساهمتهم لبعض الانشطة والعبادات ،اما الثالثة فتتمثل بالطبقة الفقيرة والتي تساعدها الدولة في تسير امورها اليومية.

وفي ضوء ذلك يمكن الاشارة الى مبدأ التعليم ومدى اهميته في اثنيا ،وهل كان تعليما الزاميا ام لا ؟

لايمكن الجزم بان التعليم كان في اثنيا تعليما اجباريا لكن هناك على الاقل معرفة القراءة والكتابة، اما التعليم العالي فقد كان امتيازا للفئات العليا ممثلة بالنبلاء، اما الفئات المتوسطة فقد حازت على ممارسة بعض النشاطات الفنية كالفنون التشكلية والمسرح وهذا ما نلحظه في التطور التراجيدي(لاسخيلوس ، وسوفوكليس) (٤،ص١٦٣).

تاسيسا على ما سبق يتضح ان التعليم لم يكن مقتصرا فقط على الطبقة النبيلة من الاشراف بل شملت الطبقات المتوسطة والمعدمة فالمتوسطة اهتمت بالفنون عامة والممارسات المسرحية خاصة والمتمثلة بتراجيديا (اسخيلوس ، وسوفوكليس) فانتشرت المحاضرات التثقيفية امام الجماهير، مع انتشار بعض النشاطات الادبية والفلسفية والتي تعود بالفائده دون شك على المجتمع الاثني، والتي كان لها الدور البارز في التطور الواسع الفلسفي الثقافي والفني والادبي اما الطبقة المعدمة فقد لاقت قدرا من التعليم حتى وان كان هذا القدر محدد بالقراءة والكتابة.

في ظل التطورات هذه لم تتمكن اثنيا من بسط نفوذها على بقية الامة الاغريقية مما ادى بالتالي الى تدهور الوضع الاقتصادي فضلا عن ظروف الحرب وانعكاسات ذلك سلبا على موقف اثنيا عسكريا وتاثير ذلك سلبا كذلك على الجانب الاقتصادي.

ففي عام (٣٧٧) ق.م استطاعت اثنيا من استعادة قوتها ولكن ليست بالصوره المطلوبة ،فظهرت السلطة المقدونية في شمال اليونان وفي وسطها مما ساعد على توحيد الدول الاغريقية ونبذ كل الافكار المعادية لهم على حساب الفرس والاجانب وقمع جميع الحركات التي تستهدف الغاء الديون وتوزيع الارض وتحرير العبيد (٤،ص١٣٩).

في ضوء ذلك نجد انفسنا امام تساؤل لابد منه، هل كان للاختلافات الاجتماعية اثر واضح في مسيرة الحضارة الاغريقية نحو عجلة التقدم والازدهار ؟

مما لاشك فيه ان المدينة الديمقراطية قد لقيت اختلافات اجتماعية فيما بين الطبقات فهناك الطبقة النبيلة الارستقرطية وهناك المتوسطة وهناك الدنيا وقد ذكر (ارسطو) على ان طبقة الاشراف او ما تسمى بالنبلاء هم الوحيدون القادرون على خدمة مدينتهم اما تلك الطبقتان الاخريتان فهما يهتمان بكسب لقمة العيش فقط غير مبالين ولا مهتمين بخدمة الدولة ولايحق لهم ان يكونوا مواطنين قياديين ،لكن كان دائما هناك افكار معاكسة ووجهات نظر في الحياة ممثلة في صورة الانسان والاضطهاد ولعديد من الطروحات والافكار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لدى الاثنيين بقيت محض خيال لم يتحقق وبرغم من هذا ظل النظام الاثيني تجربة رائدة وحية حقق انجازات عبر التاريخ لم يحققها أي نظام اخر.

لكن بقي الفن الاغريقي على مستوى راق ورفيع وفي حدود ذلك تقول (احدى الشخصيات) في كتاب (الاقتصاد)(لزنوفون)* "جميل ان ترى الاحذية مرتبة في صف واحد حسب انواعها ، وجميل ان ترى الثياب والاغطية مقسمة حسب منافعها ،وجميل ايضا ان ترى اواني الطبخ مرتبة بذوق وتنسيق وان سخر من ذلك الثرثارون المتفقيهون".

ان هذه الفقرة قد كتبها قائد حربي اذ تكشف عن مدى احساس اليونان بالجمال وفي بساطة هذا الاحساس وقوته اذ يمثل هذا الاحساس اهمية الشكل والتناسق وايضا الدقة والوضوح والتناسب والنظام هو العامل الاساسي في الثقافة اليونانية (٩، ص١٣٢).

فالفن اليوناني هو العقل المجسم الواضح ،والتصوير هو منطق الخطوط ،والنحت اليوناني هو عبادة التناسب،اما العمارة اليونانية فهي الهندسة الرخامية والغرض من الفن اليوناني ليس التجديد عن طريق الغريب غير المالوف بل الاستحواذ على جوهر الاشياء الذي ينيرها

---

*زنوفون: كان رجل اثيني وجندي عاش اثناء الحرب وراى هزيمة اثينا،امتاز عالمه بالبهجة والسعادة والظرف، للمزيد راجع :(٨،ص١٦٥).

تصويرا لامكانيات الناس المثالية فالفنان اليوناني يخضع الفن في فكره للحياة ،ويفكر في الحياة على انها اعظم الفنون على الاطلاق وقد اتفقت مع هذا الراي السيدة (هاملتون) عندما ذكرت ذلك في كتابها (الاسلوب اليوناني)" ان الفن الاغريقي هو فن فكري، فن الناس الذين كانوا مفكرين صافيين وواضحين، وكذلك هو فن بسيط فالفنانون وجدوا طريقتهم التعبيرية في البساطة والوضوح اللذين وهبهما لهم عقل صاف (٨،ص٥٤).

يتضح ان الفن الاغريقي كان وما زال فن راقي تراه في كل وعاء او صورة او تمثال او مسرحية فالفنان في الدرجة الاولى مثقف ينبذ جانب الغموض يحتفظ بالبساطة والوضوح معتمدا على العقل الذي وهبه الله له ، هذا العقل الصاف الذي ينير الروح هذا العقل المقدس مقارنة مع طبيعة الانسان فالعقل يقدم اعظم بهجة ، فالاغريق تعني لنا الفن الاغريقي وبالتالي عندما نتمتع بجمال صورة معينة مبينة القوة الروحية الموجودة في الاغريق مع حب المعرفة في البحث عن دلائل الامور ومعناها ،راغبين بذلك باتحاد العقل والروح معا على السواء فالعقل يفهم قوانين الحياة اما الروح فهي تكشف الجمال .

كان الفن عند الاغريق ذا نزعة نفعية تميل به عن الجمال الذي لا نفع فيه وبهذا قد ارتبط في تفكيره بفلسفة (سقراط) والتي بدورها ترى "ان الفن هو قبل كل شيء تجميل طرق الحياة ووسائلها ،فتكون انيته وسرره وكراسيه نافعة وجميلة معا"(٩،ص١٣٣).

ففي كل فنهم انشغلوا بما يريدون التعبير عنه وليس باساليب التعبير عنه ،والتعبير الجميل لمجرد كونه تعبير جميل لم يشغلهم اطلاقا (٨،ص٥٤).

في حدود ذلك هل يمكن اعتبار الفن فنا فكريا خالصا ام ان الفن غير خاضع للفكر ؟ وهل يمكن اعتباره فنا نفعيا ؟ وهل يمكن اعتباره جميلا ايضا ؟ وعليه في هذا الجانب بالذات نجد انفسنا امام فلسفتين الاولى (لسقراط) والثانية (لديوي) والاثنان تؤكدان على ان الفن يعد جميلا اذا كان نفعيا، اذن هل يمكن اعتبار الجمال نفعي، واذا كان الفن غير نفعي لايعد الفن جميلا على الاطلاق فعلا ام لا ؟

يبدو ان الفن الاغريقي ارتبط ارتباطا وثيقا بالفكر، فالاثنان معا لا يمكن الفصل بينهما والبساطة المطلقة هي وحدها التي تعبر عن فخامة الجمال، فضلا عن ذلك ارتباط الجمال بالمنفعة، فليس هناك جميلا ما لم يكن مفيدا وبهذا الراي قد اتفق مع الفيلسوف الامريكي (جون ديوي) عندما كان يرى الاشياء الجميلة من منظورها النفعي فظل الفنان يمارس صنع الاشكال فينقش على الانية فيمتزج الزيت بلهب الحطب وكثيرا ما كانت منقوشة نقشا متقنا وبذلك حاول الفنان ان يكون مستقيلا في عمله وبهذا سوف يتحول الشيء من فن جميل الى صناعة تسد حاجة الانسان.

من هنا نجد ان تاريخ التصوير اليوناني اجتاز خمس مراحل :-

١. تزيين الخزف، المزهريات (في القرن ٦) ق.م
٢. فن العماره، طلاء المباني العامة والتماثيل بالالوان المختلفة والتي ظهرت (في القرن الخامس) ق.م.
٣. تزيين المساكن ورسم الصور(في القرن الرابع) ان فن التصوير اليوناني قد خرج من عباءة الرسم العادي الى مرحلة الرسم والتخطيط في اساسه وجوهره.

مر فن التصوير بثلاث طرق :-

١. طريقة المظلمات او طريقة التصوير على الجص الطري.
٢. طريقة الطلاء او ما يسمى التصوير على الاقمشة.
٣. طريقة تثبيت الرسوم بالحرارة وذلك لمزج الالوان بالشمع المذاب.

وفي هذا الصدد يؤكد المؤرخ (هيرودوتس)* "ان فن التصوير قد تقدم في القرن الثامن تقدما جعل (كندولس) ملك ليديه فتباع صوره من صنع (بولاركس) بمثل وزنها ذهبا" (٩،ص١٣٧).

ظل التصوير غريبا على العبقرية اليونانية والتي كانت تحب الشكل اكثر من اللون، فاطلق عليه انذلك دراسة في الجماد للخطوط والتصميم لا ادراكا حسيا لالوان الحياة، من هنا كان ولع الرجل اليوناني بمنتجات النحت لذلك كان يملأ بيته بتماثيل صغيرة من الطين المحروق ويعبد الهته بتصويرها في الحجارة والتي تعد من اكثر منتجات الفن اليوناني واوقعها في النفس (٩، ص١٤٢).

اذ أمتاز العمال الذين ينقشون على الالواح من الصناع غير ذوي الحذق فهم يكررون الموضوع المالوف الف مره اذ يقتصر دائما على فراق الاحياء للأموات وايدي الاحياء المقبوضة (٩، ص١٤٢).

مما تجدر الاشاره اليه ان صفة النبل كانت من الصفات التي اتسم بها العصر الاغريقي من ضبط النفس ، وادراك المعتقد في احسن صوره ومرشد الروح الى الموت .

اذن هل كان هناك ميزة امتاز بها النحات الاغريقي ؟

ان ميزة التمثال عند الفنان الاغريقي، تمثل علامة القداسة بمعنى جمال ذلك التمثال ولاشيء غير ذلك، وما يراه ذلك الفنان في تلك الكائنات البشرية يكفي لكل فنه، وليس هناك دافع لتشكيل شيء مختلف اكثر حقيقة من حقيقة الطبيعة نفسها(٨،ص٥٤).

---

* هيرودوتس:المؤرخ التاريخي ومؤرخ الحرب المجيدة من اجل الحرية التي دحر بها الاغريق القوة العظيمة للفرس، للمزيد ينظر:(٨،ص١٣١).

ان الفن اليوناني لايقف عند هذا الحد بل طاف في كل الامكنة وخاصة دورهم الريادي في المسرح فتميزوا باسلوب خاص بهم شهد به القريب والبعيد ،الصديق والعدو ،تلك الالفاظ البديعة، السهلة، الواقعية، تلك الكلمات الرنانة، الوصفية، العذبة تلك اللغة اليونانية الذكية المنمقة والسليمة التي تكشف عن عبقرية كتابها ،غنية بالمعاني مع حفاظها على ادق التفاصيل، هذا الارث الحضاري الذي كان وما زال يحمل شكلا جديدا من الافكار الجمالية والادبية .

ويعد (اسخيلوس) المسرحي الاول والذي قال عنه (نيتشه) انه الجوهر الحقيقي للتراجيديا ،فالقوة الغريبة للتراجيديا والتي تقدم المعاناة والموت بطريقة تمجدها ولاتنزل عن قيمتها نجدها عند مسرحيات (اسخيلوس) ولا نجدها عند أي شاعر اخر (٨،ص١٩٣).

لذا يمكن القول ان (اسخيلوس) التراجيدي والشاعر الاول في عصره فاحصا عن فكره وروحه واضعا طابع روحه الخاص في كتاباته فضلا عن ذلك يمكن اعتبار التراجيديا من ابداعه.

في ضوء ذلك قد يطرأ سؤال في ذهن الدارس، هل يمكن اعتبار مسرحيات (اسخيلوس) مسرحيات شخصية ؟

لم يكن هناك (افلاطون) ليرسم لنا صورته الاكيدة بلمسات حيوية فيجعله كائنا حيا الى الابد وكذلك (شكسبير) ولكن من خلال مؤلفاته والتي تبين الخطوط الرئيسية لشخصيته ومزاج عقله (كشكسبير) بحدودها التي لانهاية لها (٨، ص١٩٤).

كان (اسخيلوس) شاعر لعصر جديد،كان جسرا فوق الخليج الضخم جامعا بين شعر جمال العالم الخارجي وشعر جمال العالم المتألم ،اول شاعر ادرك الغربة المحيرة للحياة (الصراع في قلب العالم)، عرف الحياة، فادرك سر المعاناة (٨، ص١٩٦).

في ظل هذا النمط من المزاج البطولي، كان لابد من ولادة التراجيديا واظهارها الى الوجود على يد شاعر عبقري فذ واظهار بؤس الانسان وفرحته في ان واحد راسما صورة شخصية ،مهتما بجوهر الحقيقة.

اما عن شاعرنا الاخر (سوفوكليس) والذي يمثل الجوهر الاغريقي للمسرحية فقد قال عنه (شوبنهور)" ان المتعة التراجيدية في التحليل الاخير هي مسالة موافقة "في حين ترى (هاملتون) ان هذا التعريف ينطبق على (سوفوكليس) وحده ويمكن ان يكثف ويقال روح دراما (سوفوكليس)، والموافقة هنا هي قبول الحياة فترى بوضوح ان هذا يجب ان يكون وليس غيره، فالناس لامعين لهم اذا ما نظروا الى قدرهم لكن يستطيعون التحالف مع الخير، في المعاناة، والموت، والنبل (٨،ص٢١١) .

يبقى سؤالا محيرا لابد من الاجابة عليه هنا، هل روح (سوفوكليس) تشبه روح (اسخيلوس)؟

ان روح (سوفوكليس) تشبه انسان على مركب يغرق فيقف جانب ليدع الناس ينزلون وهو يقبل بالموت بهدوء وكأنه حظه (٨،ص٢١١).

امتاز (سوفوكليس) بمزاج (اللاهوت)، الذي يميل الى الشكلية فهو يمشي دونما اعتبار للعدالة ولكن عقلا كعقله وروحا كروحه لا يمكن ان يستقر، فهو شاعر اكثر مما هو مسرحي دراميا يقف تحت (اسخيلوس) متفوقا عليه تلك الدراما الصرفة فاذا كتب مسرحية ،يكتبها بكل التفصيلات الموجودة فيها (٨،ص٢٢٠).

اذن يعد (سوفوكليس) ثاني الكتاب التراجيدين الاوائل في الفن الاغريقي عامة والفن المسرحي خاصة لتمتعه بثقافة عالية المستوى ويقين بعمله المسرحي مع هذا فهو لم ياتي على نفس مستوى (اسخيلوس) و(شكسبير).

وفي ضوء ذلك يمكن التوصل الى عدد من الاسئلة المثيرة للتفكير في هذا المجال وقبل الانتقال الى مراحل الحضارة الاغريقية لابد من التعرج عليها وملاحظتها ومنها، حقا لم يصل الفن الاغريقي الى مستوى رفيع وراق بدليل ما ذكرته احدى الشخصيات البارزة في المجتمع الاثيني ،ولماذا؟ شهدت اثينا نوعا من التطورات والذي يعد اهم تطور، ادى بها الى عدم تمكنها من سيطرة نفوذها على بقية الاقاليم الاخرى والى تدهور وضعها الاقتصادي، وفي أي عام استطاعت ان تستعيد قوتها. هل هناك علاقة وثيقة الصلة ما بين الفن والفكر وما الدليل على ذلك ؟ تميز الشعراء الاغارقة بمميزات معينة ومن بينهم الشاعر(اسخيلوس)، ما هي الميزة التي وجدت عند (اسخيلوس) بالذات دون غيره، وما هو راي بعض من الفلاسفة في هذا الجانب بالذات، لقد استطاع (اسخيلوس) الربط ما بين مفترقي طرق، وضح ذلك بالتفصيل.

لقد مرت الحضارة الاغريقية القديمة بست مراحل اذ تغطي فترة ثلاثة الاف سنة وهذه المراحل :-

١. العهد الكريتي (من منتصف الالف الثالث الى الالف الثاني)ق.م
٢. العهد الميسيني (النصف الثاني من الالف الثاني)ق.م
٣. العهد الهومري (القرن الحادي عشر- القرن التاسع)ق.م
٤. العهد القديم (القرن الثامن – القرن السادس)ق.م
٥. العهد الكلاسيكي (القرن الخامس – القرن الرابع)ق.م
٦. العهد الهيليني (القرن الرابع – القرن الاول)ق.م (١،ص٣٩).